الجماهير

وحدة حرية اشتراكية

يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ فرع حلب

٨ صفحات

الثلاثاء ٧ صفر ١٤٣٠ هـ الموافق ٣ شباط ٢٠٠٩م العدد ١٢٧٦٧ السنة الثالثة والأربعون

من عالم الكتب

العلاقات مابين هولندا وسورية في القرن السابع عشر

للمؤلفين المدرّس وسالمون

بيانكا ماضيّة

بمناسبة مرور أربعة قرون على إقامة القنصلية الهولندية في حلب (١٦٠٧ -٢٠٠٧) صدر في العام ٢٠٠٨ الفائت كتاب (العلاقات مابين هولندا وسورية العثمانية في القرن السابع عشر) لمؤلفيه حسين عصمت المدرس وأوليفيه سالمون، والكتاب من القطع الكبير ويقع في ١١١ صفحة.

وللكتاب مقدمتان الأولى بقلم الدكتور نيقولاوس فان دام السفير الحالي للمملكة الهولندية في أندونيسيا ومستعرب وأستاذ جامعي مختص في تاريخ سورية، والمقدمة الثانية للمؤلفين.

وقد تناول الكتاب تفصيلات مهمة ووثيقة الصلة للعلاقات التاريخية بين حلب وأمستردام اكبر مركزين تجاريين دوليين في القرن السابع عشر، إذ يسلط الكتاب الضوء على الاتصالات الدبلوماسية الأولى مع الامبراطورية العثمانية وأهمية مدينة أمستردام حين أصبحت مركزا للتجارة في أوروبا وكذلك ازدهار حلب الاقتصادي، والتجار الهولنديون الأوائل في حلب في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ونهضة التجارة الهولندية في حلب، وتسمية أول قنصل للبلاد المنخفضة "هولندا" في حلب في العام ١٦٠٧، ومعاهدات الامتيازات بين الامبراطورية العثمانية وجمهورية المقاطعات الهولندية السبع المتحدة، وشبكة القنصليات الهولندية في المشرق، والقنصلية الهولندية في حلب في عهد القنصل كورنيليس باو، والبضائع المتداولة في التجارة، وحياة الجالية الهولندية في حلب في القرن السابع عشر، وإعادة إحياء التجارة الهولندية في البحر الأبيض المتوسط، وقنصلية هولندا في أواخر القرن السابع عشر ومنافسة الفرنسيين بالإضافة الى العلاقات الثقافية ودور القنصلية الهولندية في حلب منذ القرن الثامن عشر وحتى يومنا هذا، وقد اختتم الكتاب بوثائق وشهادات القناصلة الذين اعتمدوا في حلب.

اللافت في هذا الكتاب أن المؤلفين المدرس وسالمون قد بذلا جهداً في إعداد هذا الكتاب إذ أحاطا بأبرز ماشهدته القرون الماضية في علاقة مدينة حلب بهولندا، مزودين الكتاب بمجموعة الصور الموثقة والشهادات والخرائط ممايدل على دقة البحث والتقصي لدى كل منهما.

ومما قاله المؤلفان في مقدمتهما نقتطع المقطع التالي:

إن هذا الكتاب يحكي قصة اللقاء بين حلب وأمستردام، قصة الزواج بين أكبر مركزين تجاريين دوليين في بداية القرن السابع عشر، ورحلات هذا الزفاف البهيجة على متن السفن الملأى بالحرير والتوابل والفضة التي تتهادى على أمواج البحر الأبيض المتوسط، إن المولود الأول لهذا الاتحاد السعيد كان قنصلية البلاد المنخفضة "هولندا" في حلب، والتي احتفلت في عام ٢٠٠٧ بمرور أربعمئة عام على ميلادها، وهذا الكتاب هدية منا في عيدها، حيث يضم مجموعة من الصور والرسوم المطبوعة القديمة، تذكر بقصة الحب الرائعة، تلك التي جمعت بالسلام والتسامح بين الجمهورية الفتية للمقاطعات الهولندية السبع المتحدة، ومدينة حلب العريقة".

الجماهير
وحدة حرية اشتراكية
يومية سياسية تصدر عن مؤسسة الوحدة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع - فرع حلب
الخميس 1 نيسان 2010 العدد 13057

العلاقات بين هولندا وسورية في القرن السابع عشر

صدر للسيدين حسين عصمت المدرس وأوليفيه سالمون كتاب بعنوان: "العلاقات ما بين هولندا وسورية في القرن السابع عشر" ضم بين دفتيه قرابة ١١٠صفحات من القطع المتوسط والورق الأبيض الصقيل

استهل بمقدمة للدكتور نيقولاوس فان دام التي تتمحور حول العلاقات التاريخية التجارية بين هولندا والشرق وخاصة حلب إلى جانب العلاقات الثقافية من حيث البحث عن المخطوطات وأدب الرحلات وأثر الشرق على فن الرسم الهولندي إلى جانب الوثائق والشهادات واللوحات والرسوم التي تعتبر وثائق تاريخية هامة للأشخاص والأمكنة وما يحيط بها من مفردات اجتماعية وتراثية ومعمارية وغير ذلك. وجاء في مقدمة الكتاب للدكتور فان دام:

حيث تكونت لدي الرغبة بزيارة سورية والوطن العربي للمرة الأولى في عام ١٩٦٤ وحملتني أولى خطواتي إلى مدينة حلب العريقة، وعندما شاهدت قلعتها الرائعة، وأسواقها القديمة حيث يلتقي الحرفيون والتجار والزوار والزبائن من الريف المجاور، شعرت بنشوة وإعجاب بجمالها وفتنتها.

إن أصوات طرق الحدادين، وعبق التوابل، والدكاكين الصغيرة لبائعي الحبال، وصابون حلب الشهير بصابون الغار، كل ذلك فتح أمامي طريقاً غير متوقعة لكنز كبير رغم أنني مازلت أجهل حينها تفاصيل ماضي حلب العريق لكني شعرت رغم ذلك أنني دخلت مركز مدينة ذات تراث تاريخي وثقافي كبيرين لا مثيل لهما، ومنذ ذلك الوقت وفي كل زيارة لي إلى هذه المدينة العريقة، أتوغل أكثر فأكثر في أعماق جمالياتها وسحر أسرارها. لقد أصبحت حلب مدينتي العربية المفضلة، وفي أزقة أسواقها القديمة أمضي أمتع نزهاتي، وذات يوم ذهبت للبحث عن "خان الفلمنك" مقر قنصلية البلاد المنخفضة "هولندا" والذي كان قائماً في قلب الأسواق القديمة، لكنني لم أوفق حينذاك في العثور على آثاره. في بداية السبعينيات من القرن العشرين قمت بزيارة قنصل هولندا الفخري المرحوم السيد جان مكربنة الذي استقبلني بحرارة في مكتبه في شارع قسطل الحجارين.

ومنذ ذلك الوقت حرصت على اقامة علاقة وطيدة مع القناصل الفخريين للمملكة الهولندية في حلب، وقد ثمنت عالياً شرف تكليفي بأن أكتب كلمات هذه المقدمة للدراسة المميزة للسيد حسين عصمت المدرس قنصل المملكة الهولندية الفخري في حلب، الذي خلف والده السيد عصمت المدرس في مهامه، لقد عرف السيد حسين عصمت المدرس بنشاطه في الحفاظ على تراث مدينة حلب الغني وتقييمه ودراسته، فهو خير العارفين به، إن هذا المؤلف هو ثمرة تعاونه مع السيد أوليفيه سالمون الجامعي الفرنسي، الذي أصبح عاشقاً لمدينة حلب وجعلها ميداناً لأبحاثه الجامعية. إن هذه الدراسة التي تتناول أربعة قرون من وجود القنصلية الهولندية في حلب، تعطينا تفصيلات هامة ووثيقة الصلة لفهم العلاقات التاريخية بين حلب وهولندا، وكذلك تعطينا العديد من المعلومات التي لم تنشر حول هذا الموضوع بهذا الشكل بعد. في عصر أقيمت فيه الحواجز بين تبادل الثقافات، وجدنا من الأجدى أن تتجه الأنظار إلى ما وراء تلك الحواجز، لنرى أزهار الماضي، ولنتأمل حقول توليب الإمبراطورية العثمانية ترويها أقنية البلاد المنخفضة "هولندا" مثلما نتأمل شخوص الرسام الهولندي رامبرانت ترفل بحرائر الشرق. حيث ترفع أمستردام الطرحة الزرقاء للبحر الأبيض المتوسط، لترى حلب ملكة للشرق، متالقة تحت أشعة الشمس، ممتدة وسط حقول الزيتون والفستق، متوجة بالقلعة، حجارتها أكثر روعة وأشد بياضاً من حجارة قصور التجار الهولنديين الأغنياء التي احمرت خجلاً لهذا الجمال الباهر... إن هذا الكتاب يحكي قصة اللقاء بين حلب وأمستردام، قصة التعاون بين أكبر مركزين تجاريين دوليين في بداية القرن السابع عشر، ورحلات هذا الزفاف البهيجة على متن السفن الملأى بالحرير والتوابل والفضة التي تتهادى على أمواج البحر الأبيض المتوسط.

إن المولود الأول لهذا الاتحاد السعيد كان قنصلية البلاد المنخفضة "هولندا" في حلب، والتي احتفلت في عام ٢٠٠٧ بمرور أربعمئة عام على ميلادها، وهذا الكتاب هدية منا في عيدها، حيث يضم مجموعة من الصور والرسوم المطبوعة القديمة تذكر بقصة الحب الرائعة، تلك التي جمعت بالسلام والتسامح بين الجمهورية الفتية للمقاطعات الهولندية السبع المتحدة ومدينة حلب العريقة. بمناسبة مرور أربعمئة عام على إقامة القنصلية الهولندية في حلب، بدت لنا أهمية وضع هذا الكتاب ونقصد به إعادة ذكرى التاريخ المشترك بين سورية ، وجمهورية المقاطعات الهولندية السبع المتحدة.

لقد كانت هذه العلاقات تجارية بشكل رئيسي، لكن التجار نقلوا أيضاً لغتهم وعاداتهم وطرق تفكيرهم إلى حلب، في نهاية القرن السادس عشر، بدأ الهولنديون بالاستقرار في هذه المدينة لتطوير نشاطهم بالتفتيش عن المنتجات الثمينة الآتية من الهند والجزيرة العربية.

لم تكن حلب مفترق طرق تجارية فحسب، بل كانت مركزاً ثقافياً ومدينة عالمية، حيث يتم فيها تبادل المخطوطات والمعرفة والعلوم التقنية التطبيقية، ويتعايش فيها الأوربيون والعرب والأتراك والفرس والأرمن واليونان والمسلمون والمسيحيون يتواصلون ويسمع بضعهم بعضاً، ويعملون على التفاهم فيما بينهم، مثل الزهرة ذات الألف بتلة وبتلة، فحلب قد فاح أريجها في العالم كله، ولقد انجذب الهولنديون إلى عطورها وتوابلها وألوانها ولم يترددوا من أجل الوصول إليها، في مجابهة السفر الطويل المحفوف بالمخاطر.

اشراف وتحرير:
عمر مهملات - سهى درويش

الجماهير

الثلاثاء ٢٥ جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ الموافق ١٩ أيار ٢٠٠٩م العدد ١٢٨٣٨

تراث و حكايا

من نعم الله علينا ان سخر لنا العلم ليوفر لنا السعادة والراحة وتجنب مشاق السفر واهواله ومخاطره فلمس عدة ارقام من الجهاز النقال يستطيع الانسان التحدث مع انسان اخر في اقصى بقعة من القطب الشمالي او الجنوبي لعقد صفقة تجارية او الاطمئنان عن صحة شخص او الاستفسار عن مسألة ما .

اما قديما فكان التخابر والتواصل يتم عن طريق الحمام الزاجل ويذكر كتاب العلاقات ما بين هولندا وسورية في القرن السابع عشر لحسين المدرس واوليفيه سالمون ان قنصل هولندا في حلب كورنيليس باو قد عين نائب قنصل في اسكندرونة ليعلمه عند وصول البضائع الهولندية الى مدينة الاسكندرونة والتي ستشحن برا الى حلب عن طريق الحمام الزاجل الذي يتوجه من الاسكندرونة الى حلب وبواسطة رسالة صغيرة ضفرت في رجل الطائر او احد جناحيه .

ولعب الحمام الزاجل دورا خطيرا في معركة واترلو الشهيرة بين نابليون بونابرت والقائد الانكليزي ولسن حيث شيع رجال المال الانكليز بواسطة الحمام الزاجل اندحار ولسن وانتصار نابليون فهبطت اسعار الاسهم والسندات وتم شراؤها من قبل هؤلاء الرجال وعندما تم استجلاء الخبر بعد فترة من الزمن وانتصار القائد ولسن على نابليون ارتفعت اسعار الاسهم والسندات فتم بيعها وحقق رجال المال ثروات باهظة بواسطة الحمام الزاجل .

عمر مهملات

كتاب وثائقي، قيّم

الدكتور محمود حريتاني

أصدر السيدان، الإستاذ حسين عصمت المدرس، والدراس أوليفية سالمون، كتاباً هاماً، بالفرنسية، عن "العلاقات الهولندية- السورية في القرن السابع عشر، ومرور أربعمائة عام على وجود قنصلية هولندية في حلب منذ عام ١٦٠٧"

قدّم للكتاب الدكتور نيكولاوس فان دام، سفيرٌ للملكة في الشرق طيلة عقود طويلة، فضلاً عن أنه مستعرب، وأستاذ جامعي، تناول تاريخ سورية في دراساته.

كما قدّم المؤلفان لكتابهما، بأبيات من الشعر، رقيقة الصياغة، وعميقة المعنى أبرزت حلب بحلتها البيضاء الناصعة تحت أشعة شمس الشرق، ونظرة قلعتها من علٍ، تكفكف دمع فتاة "أمستل". ثم في الأعراس، تعبق فيها روائح العطور والتوابل والحرير، كما تتفتّح أزهار الخزامى، وتنتشر في العالم.

أظهر الكتاب، التاريخَ المشترك بين جمهورية "السبع مقاطعات المتحدة"، وبين سورية، خلال حكم الأتراك العثمانيين. ولم تكن مهمة التجار الهولنديين نقل منتجات الشرق البعيد من حلب، بل اللغات والعادات والأفكار. كما لم تكن حلب مفترق طرق تجارية، ولكنها كانت مركزاً ثقافيا، ومدينة عالمية، يجري فيها تبادل المخطوطات والمعرفة والفنون. وهكذا فإن حلب تنشر عطرها على العالم كله، بحيث يتجشم الهولنديون مخاطر السفر للتمتع بعبيره. كتابٌ وضع لجمهور عريض، يُفيدُ منه القارئ المثقف، كما يفيد الأخصائي.

رُصّعَ بخرائط وثائقية، وصور نادرة عن مدينتيّ حلب وأمستردام.

في فصوله المتعددة، بحوثٌ تاريخية عن، أوائل التجار الهولنديين في حلب. ونهضة التجارة الهولندية في حلب ١٦٠٣- ١٦٢١، ووثائق الرحالة ولوحاتهم النادرة. وبنود معاهدة "الامتيازات" المعروفة.

في الكتاب عرض علمي هام لتجارة حلب نحو الغرب وتنظيمها، ويوشّح البحث صور نادرة لبريد العصر، السريع "الحمام الزاجل".

تناول الكتاب، أبحاثاً وصوراً، اجتماعية، وتفاصيل عن دور القناصل الهولنديين في حلب وأمانتهم المهلية.

الكتاب، هام لكل من يهتم بتاريخ حلب والشرق العربي، رغم إيجازه المفيد، وهو أولاً وآخراً عرض لمعالم مدينة عريقة هي حلب.

حلب في ٢٣. ٦. ٢٠٠٧

النشرة الرعائية
لمطرانية الروم الكاثوليك بحلب
نيسان
٢٠٠٩
مكتبة النشرة

العلاقات ما بين هولندا وسورية العثمانية في القرن السابع عشر

تحت هذا العنوان نشر سعادة قنصل هولندا في حلب الأستاذ حسين المدرّس نجل السيد عصمت بيك المدرّس كتاباً قيّماً عن العلاقات التجارية بين حلب خصوصاً وهولندا في القرن السابع عشر، وذلك بمناسبة مرور ٤٠٠ سنة على إقامة القنصلية الهولندية في حلب. وقد جاء هذا الكتاب الذي قدّم له العلاّمة الدكتور نيقولاوس ڤان دام أنيقاً وثريّاً على حدٍّ سواء. أنيقاً في إخراجه وثرياً بما تضمّنه من معلومات ووثائق تاريخية وصور قديمة تعطي القارئ فكرة واضحة عن مجريات التجارة الحلبية في تلك الحقبة من التاريخ.

فتهانينا للأستاذ حسين المدرّس وتهانينا لمدينة حلب بهذا الإنجاز الذي يضيف على صفحات تاريخها مزيداً من العزّة والفخار.

إن كتاب : **العلاقات ما بين هولندا وسورية العثمانية في القرن السابع عشر : أربعة قرون على إقامة القنصلية الهولندية في حلب /1607 ـ 2007/**، تأليف الصديق **حسين عصمت المدرس، وأوليفيه سالمون**، وترجمة الباحث **حسين عصمت المدرّس**، يعتبر من أهم الكتب الوثائقية التي تتعلّق بهولندا وسورية العثمانية. كما عبر عن أهمية هذه المرحلة المؤلفّان بقولهما : **في عصرٍ أُقيمت فيه الحواجز بين تبادل الثقافات، وجدنا من الأجدى أن تتجه الأنظار إلى ما وراء تلك الحواجز، لنرى أزهار الماضي، ولنتأمّل حقول توليب الإمبراطورية العثمانية ترويها أقنية البلاد المنخفضة " هولندا ".**

وهذا الكلام، الذي ورد في المقدمة، يختصر المسافات في محتويات هذا الكتاب الوثائقي الهام، الذي سلّط الأضواء، أولاً على المقاطعات الهولندية السبع التي تشكّلت فيها جمهورية هولندا، والاتصالات الدبلوماسية مع الإمبراطورية العثمانية، خاصةً بعد أن أصبحت **أمستردام** مركزاً للتجارة في أوروبا. أما **حلب** فقد عرفتها الإمبراطورية العثمانية كمركزٍ اقتصادي هام، ولهذا جاءها التجار من كل مكان، وتأسيس قنصلية هولندية في حلب عام /1607/. واختيار **حلب** كواحدة من المدن الهامة لتكون مقراً لقنصلية هولندية، له دلالات كبيرة خاصة في عالم التجارة، ومن هنا كان من الطبيعي أن توجد جالية هولندية في حلب في القرن السابع عشر. ولم تقتصر العلاقات على التجارة، فهنالك صفحة مهمة من العلاقات الثقافية، والكتاب في هذا المحور يعطينا أسماء جميع الذين خدموا كقناصل العلاقات بين هولندا والشرق عن طريق قنصلية هولندا.

وبين الأربعين قنصلاً من سنة /1607/ إلى سنة /2008/ تعتز حلب بما قدمه الصديق العزيز **الأستاذ عصمت حسين رشدي المدرّس** وهو أول قنصل مسلم يمثّل دولة أوروبية في حلب، وابنه الصديق العزيز الباحث **حسين المدرّس** الذي صدقت جلالة الملكة **بياتريكس** في 2/آب/1997 على الإجازة القنصلية فتسلّم مهامه خلفاً لوالده، وهو يعمل بجدارةٍ، ليس فقط من أجل تمتين العلاقات بين هولندا وسورية من الناحيتين التجارية والثقافية، بل لأنّه يرفع اسم سورية عالياً بفكره النير، وثقافته الواسعة، واهتمامه بحوار الثقافات، وتمتين العلاقات بين أبناء الوطن الواحد من خلال التأليف والترجمة والنشر، وإحياء المعارض المميزة جداً، بإعدادها واختيار عناوينها. إن **أبرشية حلب السريانية الأرثوذكسية** وكل العاملين فيها يعتزون برعاية بعض هذه المعارض، ونيافة راعي الأبرشية **مار غريغوريوس يوحنا ابراهيم** الذي تسلّم هذا الكتاب هدية من المؤلفين، يعتز بعلاقاته الطيبة مع آل المدرس من جهة والقنصلية الهولندية بحلب من جهة أخرى.